الجزء السابع عشر
سورة الأنبياء
سُورَةُ الأَنبِيَاءِ ٢١ ١١٢
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٢
لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ٣
قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٤
بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ٥
مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ٦
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧
وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ٨
ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ٩
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠

سورة الأنبياء

الجزء ١٧ الحزب ٣٣

﴿اقْتَرَبَ﴾ دنا وقرب وقت حساب الناس ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غافلون عن ذلك اليوم الرهيب ﴿مُّحْدَثٍ﴾ متجدد في النزول لهم والتذكير ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾ استمعوا إليه بالاستهزاء، وهم يعبثون ويلعبون ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ ساهية قلوبهم عن كلام الله ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ أخفى الظالمون الفجار الحديث بينهم سرًا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هل محمد الذي يدعي الرسالة إلا بشر مثلنا؟ ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾ أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر؟ ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ قالوا عن القرآن: إنه أخلاط منامات رآها في نومه ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ ما جاء به من قبيل الشعر، يخيّل للسامع أنه كلام رائع ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾ فليأتنا بمعجزة خارقة ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ما آمنت الأمم قبلهم الذين اقترحوا الآيات، أفيؤمن هؤلاء، وهم أعتى وأضل؟ ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ اسألوا أهل العلم بالتوراة والإنجيل ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحدَّ في الكفر والضلال ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ في القرآن شرفكم وعزكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا تدركون هذه النعمة العظيمة فتؤمنون!؟ وتعلمون أن هذا الكتاب المعجز، لا يمكن أن يأتي به رجلٌ أميٌّ كمحمد؟!

حكى تعالى عنهم هذه الأقوال الكثيرة، ليظهر اضطرابُ أمرهم، وبطلانُ أقوالهم، فهم متحيّرون لا يستقرُّون على شيء، تارة يقولون عن القرآن: إنه سحر، وأخرى يقولون: إنه شعر، ومرة يقولون: أضغاثُ أحلام، يعني أخلاط منامات رآها في نومه، وفيه توبيخٌ لهم على عدم التدبر في هذا الأمر الخطير!!

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

﴿قَصَمْنَا﴾ أهلكنا بعذاب الاستئصال ﴿أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ رأوا عذابنا بحواسهم وتيقنوا نزوله ﴿يَرْكُضُونَ﴾ إذا هم يهربون مسرعين ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ لا تهربوا ﴿أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ ارجعوا إلى مساكنكم والنعم التي أبطرتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾ لعلكم تسألون عما جرى عليكم ﴿حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ تركناهم كالزرع المحصود بالمناجل ﴿لَهْوًا﴾ ما يُتلهى به من زوجة أو ولد ﴿لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ لاتخذناه من عندنا من الملائكة أو من الحور العين ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ نرمي بالحق على الباطل ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيمحقه ويبطله ﴿زَاهِقٌ﴾ هالك تالف وهذه استعارة لطيفة، حيث شبّه الحق بقذيفة نارية ألقيت على رأس الباطل، فشدخته وحطّمته ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ لكم العذاب والدمار على ما نسبتم إلى ربكم من الزوجة والولد ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يفترون عن ذكر الله ﴿يُنشِرُونَ﴾ هل عبدوا آلهة قادرين على إحياء الموتى؟ لا، بل عبدوا آلهة بلهاء صمّاء، هي الأصنام التي صنعوها بأيديهم، وهذا تهكُّمٌ بهم ونسفيهٌ لعقولهم. ! ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لو كان في الوجود إلهٌ غير الله، لفسد نظامُ الكون، لما يحدث بين الآلهة من التنازع والاختلاف!! ألا ترى أنه لا يصحُّ أن يوجد ملكان في دولةٍ واحدة؟ ولا رئيسان في دائرةٍ واحدة!؟ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تنزّه الله ربُّ العرش العظيم، عمّا يصفه به السفهاء الجاهلون ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ ائتوني بالحجة والبرهان على صحة عبادة الأوثان؟ وهو مبالغة في التوبيخ والإنكار ﴿هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ هذا القرآن العظيم، وحيُ الله المنزلُ، يدحض دعوى الشرك !

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ قال المشركون: اتخذ الله من الملائكة بناتٍ له ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ تنزّه اللّهُ عن هذا القول الشنيع، بل هم عبيد لله، أصحاب الشرف والمكانة الرفيعة عند الله ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يقولون شيئاً حتى يأذن لهم به، شأنهم شأن العبيد المؤدّبين ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون حذرون من عظمة الله ورهبته ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ أوَ لم يعلم الكفار أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً ملتصقاً، ففصل الله بينهما بقدرته، فرفع السماء وأقرَّ الأرض؟ **وقال ابن عباس:** «كانت السماء رتقاً لا تُمطر، وكانت الأرضُ رتقاً لا تُنبتُ، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات» ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ جعلنا الماء أصل الحياة، فلا يعيش بدونه إنسان ولا حيوان ﴿فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ لئلا تتحرك وتضطرب بكم ﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ جعلنا السماء كالسقف للأرض، محفوظةً عن السقوط والزوال ﴿مُعْرِضُونَ﴾ والكفار معرضون عن الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته ﴿خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ جعل الليلَ مظلماً للسّكن والراحة، والنهار مضيئاً للسّعي والمعاش ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ كلٌّ من الأرض، والشمس، والقمر، يجري ويسير، في هذا الكون الفسيح، بنظامٍ محكم دقيق ﴿الْخُلْدَ﴾ ما كُتب لأحدٍ من قبلك الخلودُ في الدنيا، فهل إذا متَّ سيخلّدون بعدك في الحياة؟ نزلت ردًّا على المشركين حين قالوا: ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ يعني ننتظر موته!!

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ إلا سخرية واستهزاء ﴿أَلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يسبُّ آلهتكم ويذكرها بالسوء؟ ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وهم بالرحمن الذي خلقهم كافرون، يعيبون من جحد ألوهية الأوثان، وهم جاحدون ألوهية الرحمن!! ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ خُلق الإنسان عجولاً ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ ساريكم انتقامي وعذابي فلا تستعجلوه ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ متى يأتي العذاب الذي يتوعدنا به محمد؟ قالوه على جهة الاستهزاء والسخرية ﴿لَا يَكُفُّونَ﴾ لا يستطيعون دفع العذاب لأنه محيط بهم من جميع الجهات ﴿بَغْتَةً﴾ بل تأتيهم القيامة فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتحيّرهم وتُدهشهم ﴿رَدَّهَا﴾ لا يقدرون على صرفها عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُمهلون لتوبة أو اعتذار ﴿فَحَاقَ﴾ فنزل وحلّ بالمستهزئين العذاب ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ من يحفظكم ويحرسكم في أوقاتكم ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من بأس الرحمن وعذابه؟ ﴿يُصْحَبُونَ﴾ يُجارون ويُمنعون، ﴿نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الكفر ﴿نَنقُصُهَا﴾ نفتحها للمسلمين بلداً بعد بلد، فتنقص ديار الكفار، وتزداد بلاد المسلمين، **وقال ابن عباس**: نقصُ الأرض بموت علمائها، وصلحائها، وفقهائها، وذهاب خيار أهلها ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ هل هم المنصورون الغالبون على محمد؟ أم هم المخذولون؟

سبب النزول: مرّ النبيُّ ﷺ على جماعة من المشركين، فيهم «أبو جهل» وهم يتحدّثون، فلما رآه أبو جهل ضحك، وقال لأبي سفيان: هذا نبيُّ بني هاشم!! فرجع رسول الله ﷺ إلى أبي جهل، وقال له: ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصابَ عمَّك (الوليدَ بنَ المغيرة)؟ فنزلت ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا . .﴾ الآية، أخرجه ابن أبي حاتم (تفسير الشوكاني).

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۖ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ۖ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿أُنذِرُكُم﴾ أحذركم ﴿ٱلْوَحْىِ﴾ أحذركم بالقرآن الذي أوحاه الله إليّ ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ من كان أصمّ لا يسمع هذا الإنذار، فلا يتعظ ولا ينزجر ﴿نَفْحَةٌ﴾ ولئن مسّهم أقل شيء من العذاب ولو كان يسيراً كنسمة الريح، وهبّة الهواء ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ يا هلاكنا ودمارنا ﴿ظَٰلِمِينَ﴾ لقد كنا ظالمين لأنفسنا بتكذيبنا رسل الله!! يعترفون بجريمتهم عند أول هبّة عذاب، فكيف إذا صاروا في قلب الجحيم؟

﴿ٱلْقِسْطَ﴾ العدل ﴿مِّثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وزن حبة من أصغر الحبوب ﴿حَٰسِبِينَ﴾ كفى بربك أن يكون محصياً لأعمال العباد، ومجازياً لهم عليها ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ حذرون خائفون ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ كيف تنكرونه وهو منزل من عند الرحمن؟ ﴿رُشْدَهُۥ﴾ هداه وصلاحه ﴿مِن قَبْلُ﴾ من صغره ﴿عَٰلِمِينَ﴾ أنه أهل للفضل والنبوة ﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام المنصوبة والمصنوعة بأيديكم ﴿عَٰكِفُونَ﴾ مقيمون على عبادتها ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهنّ وأبدعهن ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ لأمكرنّ بها، وأضمر في نفسه نيّة تحطيمها ﴿مُّدْبِرِينَ﴾ بعد ذهابكم إلى عيدكم، والظاهر أنه قال ذلك بعد أن انصرفوا عنه، ولم يبق منهم إلّا واحد، هو الذي سمعه يتوعّد الآلهة بالتحطيم.

تنبيه: قولُ إبراهيم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ سمّى الأحجار والأخشاب باسمها (التماثيل) ولم يقل: ما هذه الآلهة؟ تحقيراً لها، مع علمه اليقينيّ بعبادتهم لها، واعتقادهم بألوهيتها، وهذا دليل رشده، ودقة فهمه!! والتعبيرُ بقوله: ﴿عَٰكِفُونَ﴾ يشير إلى انكبابهم الدائم المستمر عليها، كأنهم لا يفارقونها، فهو بذلك يهزأ منهم، ويستخفُّ بعقولهم.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿جُذَٰذًا﴾ كسّر الأصنام فجعلها قطعاً مكسّرة، مبعثرة هنا وهناك ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ إلا الصنم الكبير تركه وعلّق الفأس بعنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ لعلهم يرجعون إليه فيسألونه من كسر الأصنام؟ فتقوم الحجة عليهم ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ فلما رجعوا من عيدهم ورأوا آلهتهم مهشّمة محطّمة قالوا: من حطّم هذه الآلهة؟ ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ شديد الظلم والإجرام حين تجرّأ على تحطيمها ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ يتوعّد الآلهة ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أحضروه للمحاكمة بمرأى من الناس حتى يروه، ليكون عقابه عبرةً لمن يعتبر ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾ هل أنت يا إبراهيم الذي حطّم هذه الآلهة؟ ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ حطّمها الصنم الكبير، لأنه غضب أن تُعبد معه الأصنام الصغار فكسرها، وإذا كنتم لا تصدّقونني ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ اسألوا هذه الأصنام من كسرها؟ ﴿نُكِسُوا۟﴾ رجعوا إلى الباطل والعناد ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ علمتَ أن الأصنام لا تتكلم ولا تجيب، فكيف تطلب منا أن نسألها؟ وهنا قامت الحجة عليهم، وعزموا على حرق إبراهيم بالنار، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه ﴿كَيْدًا﴾ أرادوا إهلاكه بمكرٍ خبيثٍ فدمّرناهم.

تمثيل بديع قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ بالغ الروعة في التصوير والتمثيل، فقد شبّههم بإنسانٍ انقلب رأساً على عقب، صارت قدماه إلى الأعلى، ورأسه إلى الأسفل، فكيف يكون سليم النظر والتفكير، لقد أقاموا الحجة على أنفسهم، دون عقلٍ ولا إدراك، فأية حجةٍ أكبرُ لإبراهيم عليهم، أن يقولوا: إن هذه الأصنام لا تنطق، ولا تسمع، ولا تعقل، فكيف تأمرنا بسؤالها؟

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أعطينا لوطاً النبوة والعلم، وكان لوط قد هاجر مع إبراهيم وبعثه الله إلى «سدوم» فكذبوه، فأهلكهم الله ودمّرهم ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ اشتهروا باللواطة، وقطع السبيل على المسافرين ﴿سَوْءٍ﴾ كانوا أشراراً فجاراً خارجين عن طاعة الله ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ حين دعا على قومه بالهلاك حين كذبوه ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أجبنا دعاءه ﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ نجيناه وأهله المؤمنين من الغرق بالطوفان الذي عمّ الأرض، وكان غماً وكرباً شديداً ﴿فِى ٱلْحَرْثِ﴾ هذه قصة داود وسليمان حين كانا يحكمان في شأن الزرع ﴿نَفَشَتْ فِيهِ﴾ رعته غنم القوم ليلاً فأفسدت الزرع ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ ألهمنا سليمان الحكم في القضية ﴿يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ جعلنا الجبال والطيور تسبّح مع داود إذا سبّح، لطيب صوته بتلاوة الزبور ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ علمناه صنع الدروع ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ لتقيكم في القتال شرّ الأعداء ﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وسخرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب، أسرع من طائرة «البوينج» بتسخير الله تعالى له ذلك.

توضيح: قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ خلاصةُ القصة (أن الغنم دخلت ليلاً بستاناً فيه شجرُ العنب، فأكلته فلم تُبقِ فيه ورقاً ولا عنباً، وتحاكم الخصمان عند (داود) عليه السلام فقضى بالغنم لصاحب البستان، فخرجا من عنده، ومرّا على (سليمان) عليه السلام فدخل على أبيه فقال: يا نبيّ الله، لو حكمتَ بغير هذا كان أرفق!! تدفع الغنم إلى صاحب الزرع، ينتفع بلبنها ونسلها وصوفها، وتدفع الأرضَ إلى صاحب الغنم، ليزرعها ويتعهدها، حتى يعود إليها الزرع والثمر كما كان، ثم يترادّان، فقال داود: القضاءُ ما قضيت، وحكمَ بذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ تفسير الشوكاني.

سورة الأنبياء
وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ
مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا
لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿يَغُوصُونَ لَهُ﴾ وسخرنا لسليمان بعض الشياطين، يغوصون في البحار، لاستخراج ما يطلبه من اللآلئ والجواهر ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ كبناء المدن، والقصور الشاهقة، والأشياء التي يعجز عنها البشر ﴿حَٰفِظِينَ﴾ نمنعهم أن يخرجوا عن طاعته ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ نالني البلاء والشدة ﴿مِن ضُرٍّ﴾ دفعنا عنه ما أصابه من ضُرٍّ وبلاء، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُ﴾ عوّضه من أهله أولاداً مثل من فقدهم، وكان قد مات أولاده فأعطاه مثلهم في الدنيا ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ رحمة منا به ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ وتذكرة لمن أطاع الله وعبده ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ هو نبيُّ الله «يونس» عليه السلام، نُسب إلى النون وهو الحوت الذي ابتلعه ﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ حين ذهب مغاضباً لقومه، ومن قال مغاضباً لربه فقد أخطأ خطأً فاحشاً، ومغاضبته لقومه كانت غضباً لله ﴿نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فظنّ أن لن نضيّق عليه، **قال ابن عباس**: هذا من القَدْر بمعنى التضييق لا من القدرة كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ أي ضُيّق عليه، وليس معناها أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته، فهذا الظنُّ بالله كفرٌ، لا يقع من نبي من الأنبياء.

تذكير: قصة يونس: ذُكرت قصته بالوصف دون الاسم ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ لأنه ابتلعه الحوتُ، وبقي في بطنه دون أن يموت، وسبب ابتلاعه أن يونس غضب على قومه، لأنه دعاهم إلى الله، فاستعصَوا عليه، فضاق بهم صدراً، فغادرهم دون استئذانٍ من الله تعالى، وركب البحر، وهاجت بهم الأمواج فسقط، فابتلعه الحوتُ، وجعل الله بطنه سجناً ليونس، ثم نجّاه باستغاثته ودعائه.

وَالَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عفّت عن الفاحشة والزنى، وهذا ثناء من الله عليها بالعفة والحصانة والطهارة، لا كما زعم اليهود لعنهم الله أنها زانية ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ أمرنا جبريل فنفخ في فتحة صدرها فحملت بعيسى، وأضاف الروح إليه على جهة التشريف والتكريم ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ جعلنا مريم وابنها علامة ساطعة على قدرتنا ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ دينكم وملتكم دينٌ واحد ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ اختلفوا في الدين فأصبحوا فيه شيعاً وأحزاباً ما بين يهودي، ونصراني، ومجوسي ﴿كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ من يعمل الأعمال الصالحة فلا يضيع شيء من جزائه ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ ممتنع على أهل قرية ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أن يرجعوا إلى الدنيا بعد الهلاك ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ فُتِحَ السدُّ الذي بناه ذو القرنين على يأجوج ومأجوج ﴿حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ وهم من كل مرتفع وناحية يسرعون للإفساد في الأرض ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ حطبها الذي توقد به ﴿وَارِدُونَ﴾ داخلوها مع الأصنام ﴿زَفِيرٌ﴾ صوتٌ يشبه أنين المحزون المكلوم، تتقطّع له القلوب، وخروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى، كما تواترت بذلك الأخبار، والأحاديثُ الصحيحة.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ شبّه تعالى اختلاف البشر، وتفرُّقهم في أمر الدين إلى جماعات، وشِيَع وأحزاب، بجماعة عمدوا إلى ثوب جديد فقطّعوه، فأصبح الثوبُ قِطَعاً ممزّقة، لم يعد يستفاد منه، ولا هم استفادوا ممّا في أيديهم من القِطَع. وهذا من بديع الاستعارة، وما أبدعه من تمثيل!!

الجزء التاسع عشر ٢٠ سورة الأنبياء

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا
لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢ آياتها ٧٨

﴿حَسِيسَهَا﴾ أما المؤمنون الأبرار، فإنهم لا يسمعون حسّ النار ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال يوم القيامة وما فيه من الشدائد والبلايا ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ تستقبلهم على أبواب الجنة بالتهنئة قائلين لهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ يوم الكرامة الذي وعدكم به ربكم ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ تُطوى السماءُ كما تُطوى الصحيفة على ما كُتب فيها ﴿كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ سطرنا في الزبور المنزل على داود عليه السلام ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ من بعد ما سطرنا في اللوح المحفوظ ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ حكمنا بأن الأرض تكون لعبادي المؤمنين الصالحين، يعمرونها بطاعة الله وبالصلاح والخير، ولم يخلقها الله للكفار الفجار ﴿لَبَلَاغًا﴾ كفاية يتذكر بها العاقل ﴿آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أخبرتكم وأعلمتكم بالحقّ، لم أخصّ بعضكم وأترك البعض ﴿احْكُم بِالْحَقِّ﴾ افصل بيني وبين هؤلاء المكذبين بحكمك العادل ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ربُّ العزة والجلال، هو الرحمنُ الذي نستعين به على هؤلاء الكفار، في ما يصفون به ربهم، ورسولهم من الأكاذيب!!

توضيحٌ وبيان: لمّا نزلت هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ جاء أحد المشركين إلى رسول الله ﷺ فقال له يا محمد: (أتزعم أن كلّ من عُبدَ من دون الله، في جهنم مع عابديه؟ فنحنُ نعبد الملائكة، واليهودُ تعبد عُزيراً، والنصارى تعبدُ المسيح عيسى، فنحن نرضى أن نكون معهم في الجحيم!! فقال له ﷺ: ويحك ما أجهلك بلغة قومك؟) أخرجه الطبراني، وصحّحه الحاكم، يريد أنّ (ما) لما لا يعقل، ولم يقل تعالى: ومن تعبدون!!